- ✓ البلاغة لم تتوقف عند حد الجملة كحد أقصى في دراستها للنصوص ، أما اللسانيات فقد توقفت عند حدود الجملة،في مراحلها الأولى على الأقل
- ✓ غاية البلاغة تعليمية، أماغاية اللسانيات فهي التشخيص والوصف للظواهر اللغوية بغية فهم اللغة. .

الأسلوبية والبلاغة

يرى كثيرون أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة ،ولهذا ذهب العديد من الدارسين إلى محاولة تقديم توليفات فكرية، يمكن من خلالها البرهنة على هذه العلاقة، وتبيين هذه المكانة.

وقد كانت الدراسة التي قدمها هنريش بليث من أهم الدراسات في هذا المجال؛ حيث ألف كتابا عنونه" الأسلوبية والبلاغة".ولهذا وجب علينا التطرق إليه، والتعرف عليه، بغية فهم النموذج الذي قدمه ليكون بديلا منهجيا في الدراسة والتحليل.

يحاول هنربش بليث في البداية أن يبرز الوشائج القائمة بين البلاغة والأسلوبية، ولهذا عنون مشروعه بذلك، فالأسلوبية تتقلص أحيانا حتى لا تعدو

أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي ، وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج، وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها "بلاغة مختزلة ". ويسقط العلاقة بينهما على الشعرية أيضا. فالشعرية البلاغية تركز على المقومات البلاغية، ولهذا فبلاغة الأسلوب نقطة التقاء ثلاثة مباحث هي: البلاغة، و الأسلوبية والشعرية. ويبدو من خلال هذه المقاربة، أنه يريد أن يصل إلى نقاط الالتقاء، ويواصل تحليله ليكون نموذجا لنفسه، يستفيد من هذه العناصر محاولا إذابتها في بوتقة واحدة، ويكمن ذلك في اعتبار البلاغة فنا للخطابة قائما على الإقناع و التداول .أما الشعرية فباعتبارها قائمة على الإمتاع ، والتخييل . أما الأسلوب فلكونه قائما على فن العبارة ، وما يلاحظ هو تداخل الأبعاد الثلاثة . وان كان الأسلوب هو الأكثر تواجدا .

ثم يحاول المؤلف تقديم تصور حول البلاغة التي يطمح إليها، وهي التي تستند على تحليل النصوص وليس على إنتاجها، وهو بذلك يهدف إلى استبعاد الطابع المعياري. وتصوره هذا قائم على أمرين: " أولهما ضرورة وجود علم عام للنص يكون صالحا ، لا لدراسة النصوص الأدبية وحدها ، بل لدراسة غيرها من النصوص على اختلافها ، وثانيهما الفكرة المتضمنة في أن كل نص هو بشكل ما "بلاغة "، أي أنه يتملك وظيفة تأثيرية. وبهذا الاعتبار، فالبلاغة تمثل منهجا لفهم النص، مرجعه التأثير "

إن هذا النص هو الذي أدى بالكاتب إلى طرح الأبعاد التداولية للبلاغة ، فمن المقصدية الفكرية إلى مقصدية التهييج مرورا بالمقصدية العاطفية تتجلى تلك الأبعاد ذات الطابع المعياري الذي يود أن يتجاوزه إلى نسق بلاغي متمسك بوصف النصوص لا بإنتاجها ، ليصل إلى أن على التداولية النصية أن تعيد النظر في بناء الوظائف، لأنها قد اختزلت شبكة من العلاقات المعقدة في علاقة بسيطة قائمة على الحوار، وهو ما يبرر وجود تداولية بلاغية .

تحاول البلاغة تقديم نموذج من خمس خطوات، تصف مختلف مراحل بناء النص وهي: الإيجاد، الترتيب، العبارة، الذاكرة، الإلقاء. وهذه العناصر مترابطة في بعضها ويمكنها أن تشمل جميع النصوص.

فالذاكرة والإلقاء مختصان بالجانب الشفوي. والإيجاد يمثل المواضع، أو ما يعرف بالمقام في البلاغة العربية.أما الترتيب فيخضع لنوع الجنس الخطابي ،فالموعظة تختلف عن الخطبة، ليختلفا معا عن الرسالة.أما العبارة "فتضم ثلاثة مجالات :

1- مبادئ الأسلوب

2-أنماط الأسلوب

3- مستويات الأسلوب.

وهذه المجالات الثلاثة مترابطة ترابطا شرطيا...ولا يمكن لمبادئ الأسلوب أن تتحقق بعيدا عن أنماطه ومستوياته"[1]

وإذا كانت البلاغة المعيارية تميز عادة أربعة مبادئ للأسلوب"المناسبة ،الدقة ،الوضوح ،الزخرفة"، فإن مجالات الأسلوب تختلف بين أسلوب بسيط إلى أسلوب متوسط وآخر رفيع. ومهما يكن من أمر "فالأسلوب المتدني يخبر، والأسلوب المتوسط يمتع، والأسلوب الرفيع يؤثر"[2]

أما أنماط الأسلوب فمتعددة، فيمكن الحديث عن الأسلوب في أبسط صوره كالموضة أو الفن أو الموسيقى، وفي المجال الأدبي يميز عادة بين الأسلوب الأدبي وغير الأدبي، والشفوي والكتابي.

أما الأسلوب في الدرس اللساني الحديث فيمكن أن يكون :

-الأسلوب يمثل اختيارا بين مدخر من الإمكانيات.

-الأسلوب خاصية فردية(النص).

-الأسلوب هو نتيجة المعايير والمواصفات ومنطلقها.

ويمكننا أن نميز الأسلوبيات الآتية:

---

1 هنريش بليت:البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري أفريقيا الشرق المغرب، 1999. ص49،

2 نفسه ص50

-الأسلوب كتعبير عن شخصية الكاتب،والذي ينبئ عن توجه الكاتب الفكري وعقليته.

-الأسلوب كأثر في القارئ، وهنا نجد المفهوم التأثري، أو العاطفي للأسلوب ،وهنا ترتبط مقولات الأسلوب بالآثار الإقناعية (التعليم، الإمتاع، التهييج)"أما المحاولة الأكثر طموحا في اتجاه تحديد دور المتلقي في الأسلوبية فهي محاولة ريفاتير القائمة على مفهوم القارئ الجامع(أو المتوسط) ،وما تزال إلى الآن موضع نقد أكثر من كونها موضع احتذاء"1

-الأسلوب كتقليد لواقع ما، في نص ما، والمرتبط بالمفهوم المحاكاتي والانعكاسي للأسلوب"ويقوم التصنيف هنا على مقياسين هما:مجال التطبيق ،والقصد التواصلي"

-الأسلوب كتأليف خاص للغة:وهنا "يعالج الأسلوب باعتباره اختيارا وتنظيما دالا لعناصر لسانية ،وقد كان هذا التصور أساسا للعديد من النزعات الأسلوبية التي من أهمها أسلوبية الانزياح ،والأسلوبية الإحصائية وأسلوبية السياق"2 فأسلوبية الانزياح تعتمد على خرق المعيار النحوي ،أما الأسلوبية الإحصائية فتعتمد على الإحصاء للوصول إلى الملامح الأسلوبية للنص ،أما الأسلوبية السياقية فتدخل السياق في مفهوم الأسلوب.

1 هنريش بليت:البلاغة والأسلوبية ص 54

2 نفسه ص57

ففي مطلع حديثه عن التصور الذي يريد اقتراحه، يذكر هنريش بليت أن النموذج الذي سيقدمه يعتمد على أسلوبية الانزياح، ويشتغل في الوقت ذاته على المستوى التداولي. وفي هذا يقول " لقد اعترف منظرون محدثون مثل ج.ن ليش دت . تودوروف ومجموعة ليبح (ج.ديبوا وج م . كلانكبيرك) ،بدقة فن العبارة القديم و أسلوبية الانزياح ، وحاولوا إدماجهما اعتمادا على اللسانيات البنيوية ،كانت النماذج المحصلة بهذه الطريقة أحيانا أكثر تماسكا من البلاغة الكلاسيكية ، غير أنها بخلاف الأخيرة ، تتخلى بشكل يكاد يكون تاما عن التوجه التداولي"[1]

إن الاقتراح الذي يحاول هنريش بليت رسم معالمه يمكنه أن يخترق صنوف الخطابات فيتعامل معها بمرونة تامة ،ينزل للخطاب اليومي ليرتقي به ويصنفه، ليضعه في الغاية التي يمكن أن يؤديها ،كما يمكنه أن يحوم مع الخطابين الشعري والتداولي ؛ الأول يغوص معه في أعماق الخيال، ويجوب معه رياض الإمتاع و الاستمتاع. والثاني يأخذ بيده من مجال الإمتاع إلى بحر الإقناع . غير أن أي خطاب وإن استوعب هذه العناصر إلا أن تصنيفه ينبغي أن يكون وفق الغاية التي يؤديها، وتميزه ينبني على مفهوم الهيمنة حسب جاكبسون، لا على أساس الانفصال و القطعية. وفي هذا يقول هنريش بليت " إذا مال التواصل

1 نفسه ص65

الخطبي نحو التواصل الشعري؛ فإن الصورة البلاغية تتحول إلى صورة شعرية، وهذا يتضمن تغييرا في الوظائف. ففي حين يرتبط التواصل الخطبي (مثل التواصل اليومي) بوظيفة مقصدية ملموسة لا بوظيفة لسانية، فإن الغرض من التواصل الشعري –بحسب جاكبسون– ليس إلا غرضا في ذاته(الغائية الذاتية)أي أن الدليل اللساني الثاني يحيل على نفسه من هذه الزاوية ،إن التواصل الشعري لا يرتبط بعناصر خارج اللغة بل يكون نظامه التواصلي الخاص ....فالوظيفة الشعرية لا تلغي الوظائف الأخرى، بل تكتفي بالهيمنة عليها، فالواقع أن النص الشعري يحتوي أيضا على عناصر إقناعية، وعناصر حمالة للأخبار، كما أن النص الإقناعي يحتوي عناصر شعرية وعناصر إخبارية. وإذا وقعت انزلاقات في تراتبية الوظائف النصية، تبعا لتغير في نمط التلقي، فقد ينتج عن ذلك شعرنة نص أو ضياع شاعريته. وينبغي ترتيب الصور اللسانية حسب الهيمنة الوظيفية، وبذلك ستنتمي حينا إلى تصور أسلوبي شعري، وحينا إلى تصور خطبي، وحينا إلى تصور يومي "[1]

ومن هذا المنطلق ،فقد اعتبر هنريش بليت نظرية السجلات الأكثر تأهيلا لتجاوز كل عقبات العملية التواصلية،إلا أنها لم تعط حقها، فهي تحوي جميع أركان المقام التواصلي"المرسل،المتلقي ، السنن"رغم إقراره بأن التركيز على جانب

1 هنريش بليت:البلاغة والأسلوبية ص 62

دون آخر"ضروري لإبراز الطابع الخاص لتوجه متميز، فإن هذه التوجهات الجزئية تمنع من رؤية مجموعة ظاهرة التواصل الأسلوبي في مجملها، ولذلك كانت النظريات التي تستوعب عدة عوامل تواصلية مفضلة على غيرها : كما هو الشأن بالنسبة لنظرية السجلات ،والسجل يعني " تنوع الأدب بحسب الاستعمال " الذي يسمح بتقسيم ثلاثي ملائم لكل مقام كما يلي :

حقل الخطاب : العلاقة بين النص والموضوع

-نوع الخطاب: العلاقة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة

-فحوى الخطاب : العلاقة بين المرسل والمتلقي في بعض مقامات التواصل الاجتماعي"[1]

وفي خضم هذا الانتقاد ، يعتمد مقاربة سيميائية تنطلق من فرضيتين:"الصورة البلاغية هي الوحدة اللسانية التي تشكل انزياحا. وبذلك يكون فن العبارة ....نسقا من الانزياحات اللسانية. وإذا ما تبنينا وجهة نظر سيميائية تستلهم نموذج موريس فإننا نميز ثلاثة أصناف من الانزياحات :

- انزياح في التركيب (العلاقة بين الدلائل).

-وفي التداول (العلاقة بين الدليل والمرسل والمتلقي)،

-وفي الدلالة (العلاقة بين الدليل والواقع).

---

1 نفسه ص63

يرتبط بكل مجال من هذه المجالات صنف من الصور البلاغية؛فهناك صور(سميو–)تركيبية،وصور تداولية،وصور (سيميو–)دلالية. "

نموذج التحليل السيميائي المقترح

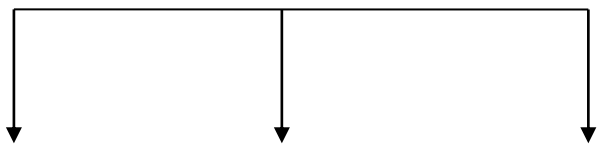

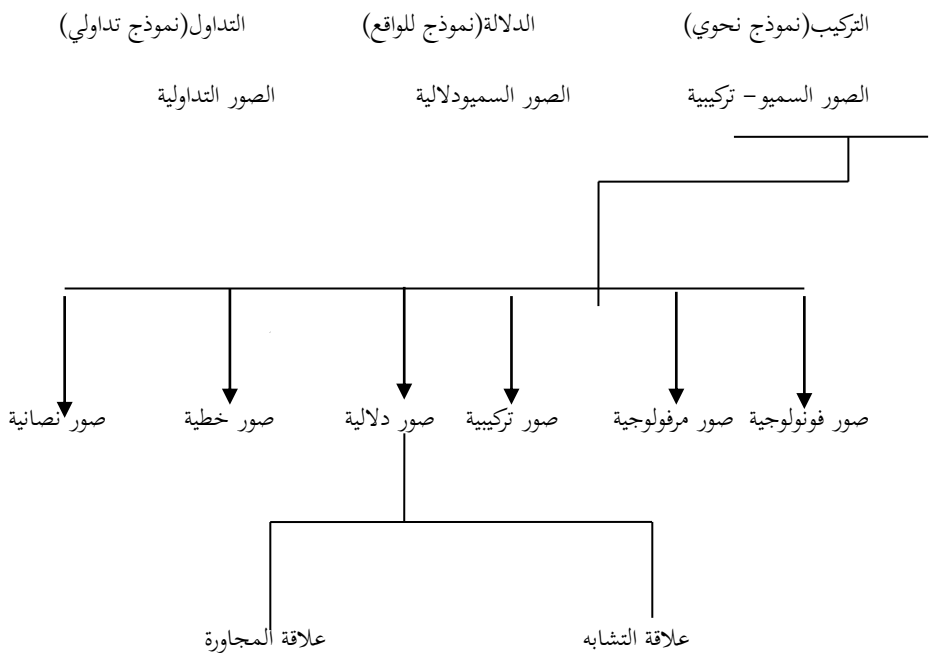

ثم يقوم الباحث بتفصيل نموذجه بغية محاصرة الصور البلاغية المختلفة:

فالنموذج السيميوتركيبي يحتوي على شقين

1العمليات اللسانية وتنقسم بدورها قسمين:

أ-قسم يخرق المعيار أي الرخص وهذه العمليات هي:الزيادة ،النقص ، التعويض ،تبادل الدلائل

ب-عمليات تقوي المعيار، وأساسها التكرار.

2المستويات اللسانية :وهي الفونولوجيا ،المورفولوجيا، والتركيب، الدلالة، الخطوطية، والنصانية.

وتبعا للمستويين يمكن الحصول على العديد من الصور بعد إجراء كل عملية لسانية على جميع المستويات اللسانية

ويمثل هنريش بليث هذا بالجدول التالي:

العمليات اللسانية / المستويات اللسانية	التي تخـرق القواعد				التي تقـوي القـواعد
	1) الزيادة	2) النقص	3) التعويض	4) التبديل	5) التعادل
1-الصوتية					
2-المرفولوجية					
3-التركيبية					
4-الدلالية					
5-الخطوطية					
6-النصانية					

ويبدو من خلال هذا الجدول أن صاحبه قد حاول محاصرة الظاهرة البلاغية بالاعتماد الواسع على إفرازات الدرس اللغوي الحديث،مستلهما مقولاته، ومستندا على طروحاته، خاصة ما تعلق باعتماده على السميولوجيا، والتي عدها تودوروف بلاغة معارصرة،[1] وهو ما يغري أي باحث طامح لبعث الدرس

[1] انظر صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص،عالم العرفة،الكويت،1992،ص:66

البلاغي، غير أن حقيقة الأمر أعمق من ذلك بكثير؛ كونه يتجه بالدرس البلاغي إلى الفلسفة من خلال المنطق ، وهو ما يجعل هذا النموذج كسابقيه .

وانطلاقا من هذا كله ، يمكننا أن نختصر أوجه الاتفاق والاختلاف بين البلاغة والأسلوبية فيما يأتي:

–أوجه الاختلاف[1]

- ✓ إن البلاغة القديمة هي الشواهد المتفرقة والأمثلة المجتزأة، في حين تغلب على الأسلوبية تصورات البنية والنسق والعلاقات .
- ✓ البلاغة توقفت عند الجملتين كحد أقصى في دراستها للنصوص ، أما الأسلوبية فتنظر إلى الوحدات الجزئية في علاقتها بالنص الكلي وتحلل النص كاملا.
- ✓ غاية البلاغة تعليمية، أماغاية الأسلوبية فهي التشخيص والوصف للظواهر الفنية .

– أوجه الاتفاق:2

- ✓ أن كلا منهما نشأ منبثقا من علم اللغة وارتبط به .
- ✓ أن مجالهما واحد وهو اللغة والأدب.

---

[1] سعد مصلوح ، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية– آفاق جديدة – ص: 67 –71

[2] ينظر: عمر عبد الهادي عتيق ،علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، الأردن ،ط1، 2012ص 315. وشكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب ،ص43–49

- ✓ تعتبر مفاهيم نظرية النظم وآلياتها عند عبدالقاهر الجرجاني صرحا شامخا يقف في وجه مفاهيم وآليات الدرس اللغوي الحديث؛ حيث يرى فيها مثلا أن المتكلم يتصرف بالقواعد النحوية وفق مبدأ الاختيار الذي يفرضه المعنى ، وهو بذلك يتفق مع مبدأ الانتقاء النحوي في الأسلوبية الحديثة .
- ✓ ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " العديد من المواضيع البلاغية كالتقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والفصل والوصل ، وهي التي تسمى في العصر الحديث ب " قواعد النص " ،كما ذكر أنواع المجاز وهي المجاز العقلي واللغوي والاستعارة وهي تعرف ب " الانحراف الدلالي " عند الأسلوبيين .
- ✓ البلاغة تقوم على "مراعاة مقتضى الحال" والأسلوبية تعتمد على "الموقف" وواضح ما بين المصطلحين من تقارب .

ويمكننا في الأخير أن نجمل الفرق بين البلاغة والأسلوبية من خلال الموضوع والمنهج والهدف

أ–فمن حيث الموضوع:الأسلوبية تدرس جميع الظواهر اللغوية في النص، وعلى جميع المستويات الصوتية والصرفية والدلالية متخذة من العمل وحدة كاملة، سواء أكان العمل فصيحا أم غير فصيح.

أما البلاغة العربية فإنها تدرس قضايا لغوية محددة في علومها الثلاث كالمعاني والبيان والبديع وفق صورة مجزأة ولا تأخذ إلا بالعمل الفصيح

أما من حيث المنهج:تعتمد الأسلوبية على المنهج الوصفي؛أي دراسة الظاهرة اللغوية كما هي ودون قواعد سابقة.

أما البلاغة العربية فقواعدها محددة وأدواتها متحدة ،لا يمكن للدارس أن يحيد أو أن ينأى عنها.

أما من حيث الهدف: فهدف الأسلوبية الكشف عن الخصائص الأسلوبية في أي عمل ،دون الحكم عليه في الأخير بالرداءة أو الحسن.

أما البلاغة فهدفها الكشف عن الكلام البليغ من غيره وتوضيح مواطن الخلل فيه

علم الأسلوب وتحليل الخطاب

إن طبيعة هذه الزاوية تحتم علينا البدء أولا بتحديد المصطلحات،للوقوف على حقيقتها من جهة، والاطلاع على أهم الفروقات بينها وبين المصطلحات الأخرى، من جهة أخرى.وأكثر من ذلك، ضبط أهم المواقف التي ينبغي أن يستعمل فيها مصطلح دون غيره.

ولذلك فمحاورها ستكون كالآتي:

-المحور الأول:مفهوم النص